**أول هجرة فى الإسلام**

**ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء وأنه لا يقدر على أن يحميهم ويمنعهم مما هم فيه، قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة فإن ملكها لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم، فكانت أول هجرة فى الإسلام، وكان فى مقدمة المهاجرين : عثمان ابن عفان وزوجته، رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو حذيفة وزوجته، والزبير ابن العوام، ومصعب ابن عمير وعبد الرحمن ابن عوف.... حتى إجتمع فى أرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة وثمانون رجلاً.**

**فلما رأت قريش ذلك، أرسلت الى النجاشى عبد الله ابن ابى ربيعة وعمرو ابن العاص ( ولم يكن قد أسلم بعد ) بهدايا مختلفة كثيرة، إليه وإلى حاشيته وبطارقته، رجاء أن يرفض قبول هؤلاء المسلمين فى جواره ويسلمهم مرة أخرى الى أعدائهم.**

**فلما كلما النجاشى فى ذلك - وكانا قد كلما بطارقته من قبله وقدما إليهم ما جاءا به من الهدايا - رفض النجاشى أن يسلم أحد من المسلمين إليهما حتى يكلمهم فى شأن دينهم الجديد هذا، فجىء بهم إليه، ورسولا قريش عنده، فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من الملل ؟.**

**فكان الذى كلمه جعفر ابن أبى طالب، فقال : أيها الملك : كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش..... فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان.... فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك.**

**فسأله النجاشى أن يتلو عليه شىء مما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله، فقرأ عليه جعفر ابن ابى طالب صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشى حتى إخضلت لحيته، ثم قال لهم : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة. ثم إلتفت الى رسولى قريش قائلا : إنطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون. ثم إنهما عادا فقالا للنجاشى : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولاً عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون. فأرسل إليهم فى ذلك، فقال جعفر ابن ابى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : يقول هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول.**

**فضرب النجاشى بيده الى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال : والله ماعدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود. ثم رد إليهما هداياهما، وزاد استمساكه بالمسلمين الذين استجاروا به، وعاد الرسل إلى قريش خائبين.**

**وبعد فترة من الزمن بلغهم إسلام أهل مكة فرجعوا لما بلغهم ذلك حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما قد سمعوه من إسلام أهل مكة باطل، فلم يدخل احد منهم إلا بجوار، أو مستخفياً وكان جميعهم ثلاثة وثلاثين رجلاً، وكان من بين من دخل بجوار عثمان ابن مظعون، دخل بجوار الوليد ابن المغيرة، وأبو سلمة دخل بجوار ابى طالب**

**العبر والعظات :**

**نأخذ من حديث هجرة المسلمين الى الحبشة ثلاث دلالات :**

**الدلالة الأولى - إن الدين والإستمساك به وإقامة دعائمه، أساس ومصدر لكل قوة، وهو السياج لحفظ كل حق من مال وارض وحرية وكرامة، ومن أجل هذا كان واجب الدعاة الى الإسلام والمجاهدين فى سبيله أن يجندوا كل إمكاناتهم لحماية الدين ومبادئه، وأن يجعلوا من الوطن والأرض والمال والحياة وسائل لحفظ العقيدة وترسيخها، حتى إذا إقتضى الأمر بذل ذلك كله فى سبيلها وجب بذله.**

**ذلك أن الدين إذا فقد أو غلب عليه، لم يغن من ورائه الوطن والمال والأرض، بل سرعان ما يذهب كل ذلك من ورائه، أما إذا قوى شأنه وقامت فى المجتمع دعائمه ورسخت فى الأفئدة عقيدته، فإن كل ما كان قد ذهب فى سبيله من مال وأرض ووطن يعود..... يعود أقوى من ذى قبل حيث يحرسه سياج من الكرامة والقوة والبصيرة...**

**ولقد جرت سنة الله فى الكون على مر التاريخ أن تكون القوى المعنوية هى الحافظة للمكاسب والقوى المادية، فمهما كانت الأمة غنية فى خلقها وعقيدتها السليمة ومبادئها الإجتماعية الصحيحة، فإن سلطانها المادى يغدو أكثر تماسكاً وأرسخ بقاءاً وأمنع جانباص، ومهما كانت فقيرة فى خلقها، مضطربة فى عقيدتها تائهة أو جانحة فى نظمها ومبادئها فإن سلطانها المادى يغدو أقرب الى الإضمحلال ومكتسباتها المادية أسرع الى الزوال.**

**وقد تصادف أن تجد أمة تائهة فى عقيدتها عن جادة الصواب منحطة فى مستواها الخلقي والاجتماعي، وهى مع ذلك واقفة على قدميها من حيث القوة والسلطان المادي، ولكنها في الحقيقة والواقع تمر بسرعة نحو هاوية سحيقة. والسبب في أنك لا تحس بحركة هذا المرور وسرعته هو قصر عمر الإنسان أمام طول عمر التاريخ والأحقاب. ومثل هذه الحركة إنما تبصرها عين التاريخ الساهرة لا عين الإنسان الغافل الساهى. وقد تصادف أن تجد أمة تعرّت عن كل مقوماتها المادية من ثروة ووطن ومال فى سبيل الحفاظ على العقيدة الصحيحة وفى سبيل بناء النظام الإجتماعى السليم، ولكن ما هى إلا فترة قصيرة حتى تجد أرباب هذه العقيدة الصحيحة وما يتبعها من الخلق والنظام الإجتماعى السليم قد إستحوذ على وطنهم المسلوب ومالهم المغصوب وعادت إليهم قوتهم مضاعفة معززة.**

**وأنت لن تجد الصورة الصحيحة عن الكون والإنسان والحياة إلا فى عقيدة الإسلام الذى هو دين الله عز وجل لعباده فى الأرض ولن تجد من النظام الإجتماعى العادل السليم إلا فى نظام الإسلام وهديه. ولذا فقد كان من أسس الدعوة الإسلامية التضحية بالمال والوطن والحياة فى سبيله، فبذلك يضمن المسلمون لأنفسهم المال والوطن والحياة.**

**ومن أجل هذا شرع مبدأ الهجرة فى الإسلام، فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه - بعد أن نالهم من أذى المشركين ما خشى عليهم معه فتنتهم فى الدين - الى الهجرة والخروج من الوطن.**

**وانت خبير أن هذه الهجرة نفسها ضرب غير يسير من ضروب العذاب والألم فى سبيل الدين، فهى ليست فى الحقيقة هرباً من الأذى والراحة، بل هى تبديل للمحنة ريثما يأتى الفرج والنصر.**

**وأنت خبير أيضاً أن مكة لم تكن إذ ذاك دار إسلام حتى قال : فكيف ترك أولئك الصحابة دار الإسلام وفروا إبتغاء سلامة أرواحهم الى بلاد كافرة، فمكة والحبشة وغيرها كانت سواء إذ ذاك، وأيها كان أعون للصحابى على ممارسة دينه والدعوة إليه، فهى أجدر بالإقامة فيها.**

**أما الهجرة من دار الإسلام فحكمها بين الوجوب والجواز والحرمة، أما الوجوب فيكون عند عدم تمكن المسلم من القيام بشعائر الإسلام فيها كالصلاة والصيام والآذان والحج...**

**وأما الجواز فيكون عندما يصيبه فيها بلاء يضيق به، فيجوز له أن يخرج منها الى دار إسلامية أخرى.**

**وأما الحرمة فتكون عندما تستلزم هجرته إهمال واجب من الواجبات الإسلامية لا يقوم به غيره.**

**الدلالة الثانية - ونأخذ منها حقيقة العلاقة القائمة بين ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام، فقد كان النجاشى على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وكان مخلصاً وصادقاً فى نصرانيته، ولقد كان مقتضى إخلاصه هذا أن لا يتحول عنها الى ما يخالفها وأن لا ينتصر لمن تختلف عقيدتهم عما جاء به الإنجيل وما جاء به سيدنا عيسى عليه السلام.**

**أى فلو صحت تقولات أولئك الذين يزعمون إنتماءهم الى عيسى ابن مريم وتمسكهم بالإنجيل، من أن عيسى ابن الله تعالى وثالث ثلاثة، لتمسك النجاشى ( الذى كان من أخلص الناس لنصرانيته ) بذلك ولرد على المسلمين كلامهم وانتصر لرسل قريش فيما جاءوا من أجله.**

**ولكنا رأينا النجاشى يعلق على ما سمعه من القرآن وترجمته لحياة عيسى ابن مريم بقوله : إن هذا والذى جاب به عيسى ابن مريم ليخرج من مشكاة واحدة. يقول ذلك على مسمع من بطارقته وعلماء الكتاب الذين من حوله، وهذا يؤكد ما هو بديهى الثبوت من أن الأنبياء كلهم إنما جاؤوا بعقيدة واحدة لم يختلفوا حولها عن بعضهم قيد شعرة، ويؤكد لنا أن إختلاف أهل الكتاب فيما بينهم ليس إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً من عند أنفسهم كما قال الله تعالى.**

**الدلالة الثالثة - أنه يجوز للمسلمين أن يدخلوا فى حماية غير المسلمين إذا دعت الحاجة الى ذلك، سواء كان المجير من أهل الكتاب كالنجاشى إذ كان نصرانياً، ولكنه أسلم بعد ذلك، أو كان مشركاً كأولئك الذين عادوا الى مكة فى حمايتهم عندما رجعوا من الحبشة وكأبى طالب عم الرسول، وكالمطعم ابن عدى الذى دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة فى حمايته عندما رجع من الطائف**

**وهذا مشروط - بحكم البداهة - بأن لا يستلزم مثل هذه الحماية إضراراً بالدعوة الإسلامية، أو تغييراً لبعض أحكام الإسلام، أو سكوتاً على إقتراف بعض المحرمات، وإلا لم يجز على المسلم الدخول فيها.**

**ودليل ذلك ما كان من موقفه صلى الله عليه وسلم حينما طلب منه أبو طالب أن يبقى على نفسه ولا يحمّله ما لا يطيق فلا يتحدث عن آلهتهم بسوء، فقد وطن نفسه إذ ذاك للخروج من حماية عمه وأبى أن يسكت عن شىء مما يجب عليه بيانه وإيضاحه.**

**أول وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم**

**فى غمرة ما كان يلاقيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه من العذاب والإيذاء وفد الى ىرسول الله صلى الله عليه وسلم أول وفد من خارج مكة لفهم شىء عن الإسلام. وكانوا بضعة وثلاثين رجل من نصارى الحبشة جاؤوا مع جعفر ابن ابى طالب لدى عودته الى مكة. فلما جلسوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واطّلعوا على صفاته واحواله وسمعوا ما تلى عليهم من القرآن، آمنوا كلهم، فلما علم بذلك أبو جهل أقبل إليهم قائلا : ما رأينا ركباً أحمق منكم !... أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال. فقالوا : سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نسأل أنفسنا خيراً.**

**فنزل فيهم قول الله عزو جل : ( الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به، إنه الحق من ربنا إنّا كنّا من قبله مسلمين، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنةالسيئة ومما رزقناهم ينفقون، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ).**

**العبر والعظات :**

**ينبغى أن يسترعى إنتباهنا من خبر هذا الفد أمران إثنان :**

**أولاّ : فى قدوم هذا الوفد الى مكة ولقاء الرسول صلى الله عليه وسلم والتعرف على الإسلام فى غمرة ما كان المسلمون يعانونه من العذاب وإيذاء ومقاطعة وتضييق، دلالة باهرة على أن ما قد يلاقيه أرباب الدعوة الإسلامية فى طريقهم من الآلام والمصائب لا يعنى بحال من الأحوال الفشل، ولا يستلزم الضعف أو التخاذل أو اليأس. بل العذاب كما قلنا طريق لابد من سلوكها للوصول الى النجاح والنصر. لقد جاء هذا الوفد وكانوا يزيدون على ثلاثين رجلاً من النصارى وقيل بل كانوا يزيدون على أربعين رجلاً، جاؤوا يمخرون عباب البحر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليعلنوا الولاء للدعوة الجديدة، وليعلنوا بلسان الحال أن أعداء الدعوة الإسلامية لن يستطيعوا ( مهما ضيقوا عليها ومهما عذبوا وآذوا أربابها ومهما قاطعوهم وائتمروا عليهم ) أن يمنعوها من أن تؤتى ثمارها أو أن يحبسوها عن الإنتشار فى مشارق الأرض ومغاربها.**

**وكأنما قد علم أبو جهل بهذه الحقيقة فتجلت آثارها على نفسه ولسانه فى الكلمات الحاقدة التى واجه بها أفراد ذلك الوفد، ولكن ما عساه أن يصنع ؟ إن كل ما يستطيع هو وأمثاله أن يصنعوه، إنزال مزيد من العذاب والإيذاء بالمسلمين، أما أن لا تبلغ الدعوة مداها وأن لا تؤتى ثمارها، فليس له الى ذلك من سبيل.**

**ثانيا : ما هى نوعية الإيمان الذى آمنه أفراد هذا الوفد ؟ هل هو إيمان من يخرج من ظلمات الكفر الى النور؟ الواقع أن غيمانهم كان مجرد إستمرار لإيمانهم السابق، ومجرد سلوك بمقتضى ما كانوا يؤمنون به من عقيدة ودين. فقد كانوا على حد تعبير رواة السيرة أهل إنجيل يؤمنون به، ويسيرون على هديه. ولما كان الإنجيل يأمر بإتباع الرسول الذى يأتى من بعد عيسى عليه السلام ويتحدث عن صفاته ومميزاته، فقد كان من مقتضى إستمرار الإيمان، الإيمان بهذا النبى محمد صلى الله عليه وسلم. وإذاً فإن إيمانهم به عليه الصلاة والسلام لم يكن عملية إنتقال من دين الى دين بسبب تفضيل أحدهما على الآخر، وإنما كان إستمراراً لحقيقة الإيمان بعيسى عليه السلام وما أنزل إليه، وهذا هو معنى قولهم فى الآية الشريفة: (وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) أى إنا كنا مسلمين ومؤمنين بهذا الذى يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم، من قبل بعثته، لأنه مما يدعو إليه الإنجيل للإيمان به.**

**وهذا هو شأن كل من تمسك تمسكاً حقيقياً بما جاء به عيسى عليه السلام أو بما جاء به موسى عليه السلام إذ الإيمان بالتوراة والإنجيل يستدعى الإيمان بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم. ولذلك امر الله رسوله أن يكتفى من دعوة أهل الكتاب الى الإسلام بمجرد مطالبتهم بتطبيق ما فى التوراة والإنجيل الذى يدّعون الإيمان به فقال جل جلاله :( قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ).**

**وهذا يقتضى تأكيد ما بينّاه من أن الدين الحق واحد لم يتعدد، منذ خلق الله آدم عليه السلام الى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن كلمة ( الأديان السماوية ) التى يستعملها بعض الناس كلمة لا معنى لها. نعم، هناك شرائع سماوية متعددة وكل شريعة سماوية ناسخة لما قبلها من الشرائع، ولكن ينبغى أن لا نخلط بين ( الدين ) الذى يطلق أو ما يطلق على العقيدة،و ( الشريعة ) التى تطلق على الأحكام السلوكية المتعلقة بالعبادات والمعاملات.**

**عام الحزن**

**وهو العام العاشر من بعثته صلى الله عليه وسلم، فقد توفيت زوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، وتوفى عمه أبو طالب، ويقول ابن سعد فى طبقاته : كان بين وفاة خديجة وأبى طالب شهر وخمسة أيام. وقد كانت خديجة رضى الله عنها، كما قال ابن هشام، وزير صدق على افسلام يشكو الرسول إليها ويجد عندها أنسه وسلواه، أما أبو طالب فقد كان عضداً وحرزاً فى أمره، وكان ناصراً له على قومه. يقول ابن هشام : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب، حتى إعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أباك.**

**ولقد أطلق النبى صلى الله عليه وسلم على هذا العام عام الحزن لشدة ما كابد فيه من الشدائد فى سبيل الدعوة.**

**العبر والعظات :**

**ترى ما الحكمة فى أن يتعجل قضاء الله تعالى فى إستلاب أبى طالب من الحياة قبل أن يشتد ساعد المسلمين فى مكة ويتكون لهم شىء من المنعة ؟ ومعلوم أنه قد كان يحمى الرسول- قدر الإمكان - من كثير من المصائب والشدائد، وما الحكمة فى أن يتعجل القضاء باستلاب زوجته خديجة رضى الله عنها، وقد كان يجد عندها أنسه وسلواه، وينفض بمساعدتها عن كاهله كثيراً من أحاسيس الشدائد والآلام ؟**

**تبرز هنا ظاهرة هامة تتعلق بأسس العقيدة الإسلامية. فلو أن أبا طالب بقى الى جانب ابن أخيه يكلؤه ويحميه إلى أن تقوم الدولة الإسلامية فى المدينة وريثما ينجو الرسول من أذى المشركين وقبضتهم، لكان فى ذلك ما قد يوهم أن أبا طالب كان من وراء هذه الدعوة، وأنه هو الذى كان يدفعها الى الأمام ويحميها بمكانته وسلطانه بين قومه، وإن لم يظهر الإيمان بها والإنضواء تحتها، ولجاء من يطيل ويطنب فى بيان الحظ الحسن الذى تهيأ للرسول صلى الله عليه وسلم أثناء قيامه بالدعوة، بسبب حماية عمه له، بينما لم يتهيأ هذا الحظ لغيره من المسلمين من حوله، فأوذوا وهو محفوظ الجانب، وتعذبوا وهو مستريح البال.**

**لقد قضت حكمة الله تعالى أن يفقد الرسول عمه ابا طالب وزوجته خديجة بنت خويلد، ويفقد من حوله من كان فى الظاهر حامياً له ومؤنساً، حتى تتجلى حقيقتان هامتان :**

**أولاهما - أن الحماية والعناية والنصر، إنما يأتى كل ذلك من الله عز وجل. ولقد تعهد الله أن يعصم رسوله من المشركين والأعداء، فسواء كان ثمّة من يحميه من الناس أو لم يكن، فهو معصوم من الناس وستبلغ دعوته منتهاها من النصر والتوفيق.**

**ثانيا - ليس معنى العصمة من الناس أن لا يرى منهم إيذاء أو عذاب او إضطهاد، وإنما معنى العصمة التى تعهد الله بها رسوله فى قوله :( والله يعصمك من الناس ) أى العصمة من القتل ومن اى صد أو عدوان من شأنه إيقاف الدعوة الإسلامية، فقد قضت حكمة الله تعالى أن يذوق الأنبياء من ذلك قدراً غير يسير، وذلك لا ينافى العصمة التى وعد الله بها أنبياءه ورسله، ولذلك يقول الله تعالى :( فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنّا كفيناك المستهزئين ) ويقول له :( ولقد نعلم أنه يضيق صدرك بما يقولون، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ).**

**ومن الحكم الجليلة لما قضت به سنة الله عز وجل من ا، يلاقى الرسول ما لاقى من المحنة على طريق الدعوة، أن يستسهلها ويستخف بها المسلمين فى كل عصر ممن أنيطت بهم مسئولية الدعوة الإسلامية، فلو أن النبى صلى الله عليه وسلم نجح فى دعوته بدون أى مشقة أو جهد، لطمع أصحابه والمسلمون من بعده بأن يستريحوا كما إستراح، ولاستثقلوا المصائب والمحن التى قد يواجهونها فى طريقهم الى الدعوة الإسلامية.**

**أما والحالة هذه، فإن مما يخفف وقع المحنة والعذاب على المسلمين شعورهم أنهم يذوقون مما ذاقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنهم يسيرون فى نفس الطريق التى أوذى فيها رسول الله. وهما أصابهم من ألم السخرية بهم او إهانة الناس لهم، فإن ذلك لا يفتّ فى عضدهم بعد أن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقى التراب فى السوق على رأسهحتى إضطر أ، ينقلب الى بيته لتقوم إحدى بناته فتغسل عن رأسه الشريفة التراب، مع أنه حبيب الله وصفوته من خلقه. وسنجد فى هجرته صلى الله عليه وسلم الى الطائف وما لاقاه إذ ذاك ما يجعل المسلمين يستسهلون كل محنة وعذاب فى سبيل أن يضربوا مع رسولهم بنصيب مما قاساه وعاناه فى سبيل الدعوة الإسلامية , هذا شىء**

**والشىء الآخر الذى يتعلق بهذا المقطع من سيرته عليه الصلاة والسلام هو أن بعض الناس يحسبون أن سبب تسمية الرسول لهذا العام عام الحزن إنما هو مجرد فقده عمه وزوجته، وربما إستساغوا إقامة علائم الحزن والحداد على موتاهم مدة طويلة من الزمن مستدلين بهذا، والواقع أن هذا خطأ فى الفهم والتقدير، فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يحزن على فراق عمه وفراق زوجه ذلك الحزن الشديد، ولم يطلق على تلك السنة : عام الحزن، لمجرد أنه فقد بعض أقاربه فاستوحش لفقدهم. بل سبب ذلك ما أعقب وفاتهما من إنغلاق معظم أبواب الدعوة الإسلامية فى وجهه، فقد كانت حماية عمه له تترك مجالات للدعوة كثيرة وسبلا مختلفة للتوجيه والإرشاد والتعليم.... وكان يرى فى ذلك بعض النجاح فى العمل الذى أمره به ربه. أما بعد وفاته، فقد سدت فى وجهه تلك المجالات، فمهما حاول وجد صداً وعدواناً، وحيثما ذهب وجد السبل مغلقة فى وجهه. فيعود بدعوته كما ذهب بها : لم يسمعها أحد ولم يؤمن بها أحد، بل الكل ما بين مستهزىء ومعتد، ومتهكم به، فيحزنه أن يعود وهو لم يأت من الوظيفة التى كلفه الله بها بنتيجة، فمن أجل ذلك سمى العام عام الحزن.**

**بل لقد كان حزنه على أن لا يؤمن الناس بالحق الذى جاء به، شيئاً غالباً على نفسه، فى أكثر الأحيان، ومن أجل تخفيف هذا الحزن كانت تنزل الآيات مواسية له ومسلية، ومذكرة إياه بأنه ليس مكلفاً بأكثر من التبليغ، فلا داعى الى أن يذهب نفسه عليهم حسرات إذا لم يستجيبوا ولم يؤمنوا، إستمع مثلاً الى هذه الآيات : ( قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون، فإنهم لا يكذبونك، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله، ولقد جاءك من نبأ المرسلين، وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن إستطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء فتأتيهم بآية، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ).**